

منهجية البحث اللغوي عند النحاة واللغويين والمفسرين:  
دراسة نقدية

أ.م.د. جواد اصغرى      أ.مشارك.د. عدنان طهماسبى

جامعة طهران

**The Methodology of Linguistic Researches between Grammarians,  
Lexicographers and Commentaries: A Critical Research**  
Ass.Prof.Dr. Jawad Asgari      Ass.Prof.Dr. Adnan Tuhmasabi  
Tehran University

jasghari@ut.ac.ir

adnant@ut.ac.ir

**Abstract**

This paper aims at criticizing research methods of Muslim grammarians, lexicographers and interpreters. In this paper, it is explained that how grammarians wrongly travelled the path of linguistic researches and kept aloof from principles pertinent to research in the field of language under the influence of Aristotelian logic and mixed syntax with the science of logic, which is not compatible with the spirit of language. Then it is explained that how these researches influenced lexicographers and finally which scientific heritage was converted to the research tool of the Quran's interpreters. In this paper, the understanding of the Quran's interpreters of the language of this noble book is questioned. To substantiate this claim, lexical structure and grammar of Hebrew and Aramaic languages are used in this paper.

**Keywords:** Hebrew, Aramaic, Arabic, Interpretation of the Quran

**المخلص:**

هذه المقالة تنقد مناهج البحث عند النحويين واللغويين والمفسرين المسلمين وتبين انه كيف اخطأ النحويون المسير نحو البحوث اللغوية، ومثأثراً بالمنطق الارسطى بعدوا عن مبادئ البحوث اللغوية ومزجوا النحو بالمنطق الذى لا يتناسق وروح اللغة، ثم اننا بيّنا ان هذه البحوث كيف أثّرت فى اللغويين وآثارهم وإنّ اى تراث علمى اصبح اداة لبحوث المفسرين ومحاولاتهم، والاشكالية المطروحة فى هذه الورقة هى كيفية فهم المفسرين من المصحف الشريف، ولإثبات هذا الادعاء ارتشفتنا من بنيات صرفية ونحوية للغتين العبرية والآرامية.

المقدمة

منذ بزوغ الاسلام مرّت اللغة العربية بمراحل وسجلت تطورا فى ارساء قواعدها وفانبرى العلماء والباحثون فى غناها فى مختلف المجالات فكريا وثقافيا ودينيا وعلميا بعد نزول القرآن الكريم واغترفوا من معينها للتعبير عن افكارهم، هذا وإنّ الكثير منهم جعلوا اللغة العربية هدفاً لتحقيقاتهم وبحثهم وبنلوا مهجهم دون ذلك.

كان هدف هؤلاء العلماء اولاً الفهم الصحيح من اللغة العربية، ثم انهم كانوا بصدد بناء قواعد نحوية يمكنهم من استخدامها فى صراعاتهم الدينية والكلامية، كما أنّ وجود تيارات فلسفية وكلامية ومنطقية والجدل الدائر بينهم المتمثل باللغة والكتابات العربية أدخل هذه اللغة فى حلبة صراع فكري بين هذه العلماء، وكانت غالبية هذه الصراعات باللغة العربية، تشتعل على يد من كان منحدرًا من اصول غير عربية حيث لم يتشربوا بروح اللغة والثقافة العربية بكامل وجودهم. فانعدام المعرفة الكاملة بالثقافة العربية وخاصة عدم معرفتهم شبه الكاملة بالثقافات واللغات السامية وامتزاج الثقافتين الاغريقية والايرانية بالثقافة العربية زاد الطين بلةً لينحرفوا بحثيا ويسلكوا مسلكا علميا مشبوها بالاطياء.

فالورقة هذه تتطرق الى جملة من هذه الأخطاء المنهجية وعواملها وتدايعات هذه الأخطاء التي ظهرت بين النحاة واللغويين، والمتجسدة في اعمال المفسرين المتقدمين منهم والجدد، والفرضية التي نحن بصدد إثباتها هي اننا نشاهد بين النحاة واللغويين والمفسرين اخطاء منهجية وأثرت هذه الأخطاء في فهمهم عن القرآن كريم.

### منهجية البحث

ولما أنّ الهدف الأساس في هذا البحث هو الكشف عن كيفية فهم النحاة واللغويين والمفسرين من اللغة العربية ولغة القرآن الكريم خاصة وظهور هذه العلوم بعد نزول القرآن الكريم، فاخترنا الامثلة بكاملها من المصحف الشريف. وفي هذا المقال ولدراسة اعمال هذه الفرق الثلاث من العلماء المسلمين اخترنا آثاراً من علماء القرون الإسلامية، الأولى منها والوسيلة والمعاصرة، ذلك أنّ الأعمال المكتوبة في هذه المجالات كثيرة للغاية، ناهيك إنّ في كل هذه المجالات هناك من يؤثر على الآخرين ويُعتبر رائداً وقدوة لهم والآخرين انتهجوا نهجهم أو كرّروا كلماتهم دون ادنى تغيير. فعليه ومن بين كمّ هائل من الأعمال النحوية، اخترنا شرح المفصل لابن يعيش اذ انه الأكمل (حسبنا) من بين الكتب النحوية والجامع لآراء النحويين القدماء، ثم كتاب شرح الشافية لابن الحاجب على الكافية للرضي الاسترآبادي واخيراً شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك من بين النحويين المتأخرين على ما ذهبنا عليه. و من بين كتب اللغة استخدمنا اساساً لسان العرب اذ انه جامع آراء مختلف اللغويين القدماء، ولما جاء علماء اللغة بعده بجديد، كما اننا تطرقنا الى كتاب الراغب الأصفهاني وهو «شرح مفردات غريب القرآن» الذي استند اليه الكثير من المفسرين. ومن بين كتب التفسير اغترفنا من «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» المعروف بتفسير الطبري والذي يعتبر اول تفسير جامع في العالم الإسلامي ومن تفسير الكشاف للزمخشري ومن تفسير الميزان للعلامة الطباطبائي من بين المعاصرين. العربية واخواتها السامية

هنا نشير الى قضية تناولها الكثير من العلماء المعاصرين وتعدّ اليوم لدينا قضية معروفة نسبياً غير أن النحاة واللغويين القدماء لم يحتفلوا بها. إن اللغة العربية وليدة تكامل اللغات السامية، وماهية اللغة السامية الأصلية غامضة لنا إلا أنّ مسيرة تكامل هذه اللغات ابقت لنا في العصر الراهن لغتين: العبرية والعربية. وكما قال الباحثون، لا شك أنّ العربية تعتبر احدث لغة بين اللغات السامية ومضت عليها تحولات كثيرة، وعلى اساس البحوث التي اجراها هؤلاء العلماء والباحثون تعدّ الآرامية اقدم من العربية والعبرية وهاتين الأخيرتين تأثرتا بالآرامية. وما يحصل من هذه المصادر هو ان شمالي الجزيرة العربية كان مجالاً للتلاقى والامتزاج والمتاقفة بين العربية والآرامية، واللغة الآرامية كانت منذ الالفية الثانية قبل الميلاد قد بلغت مراحل نضجها وازدهارها ولكن العربية أخذت تنشأ وتترسخ من القرن الرابع قبل الميلاد ثم انها بعد ظهور الإسلام وبعبارة في القرن السابع للميلاد بلغت اوج ازدهارها. هذا مسار تكامل اللغة العربية ولا يسعنا التطرق الى هذا الموضوع.

ولكن التحول الذي حدث في هذه المرحلة التاريخية وساهم في البحوث اللغوية هو ظهور الإسلام والإتجاه الأيديولوجي في البحوث اللغوية التي كانت مندمجة مع العلوم الإغريقية والمسيحية. ولفهم هذا التحول وانماط البحوث والدراسات اللغوية في ذلك العصر، بداية ننظر الى نشأة النحو:

### نشأة النحو

و الحدث الهام الذي ظهر في تاريخ اللغة العربية هو نشأة النحو بعد نزول الإسلام. ذلك ان صناعة اللغويين والنحاة قد قولبت بدورها العقل الذي يمارس فعاليته في هذه اللغة وبواسطتها، العقل العربي الذي تفرسه الثقافة العربية في المنتمين اليها. ذلك ان عمل النحاة لم يكن مقتصر على استنباط قواعد اللسان العربي من كلام العرب بل كان في الواقع تقنيناً لهذا الكلام وتحجيماً له بواسطة قوالب اعتبروها مطلقة ونهائية .

كانت هذه بداية للخروج عن الطريق القويم لمناهج الدراسة اللغوية، فالنحويون والذين كانوا غافلين عن اللغات السامية ولم يكن لديهم عنها معلومات تذكر (الا المتأخرين منهم والذين ما كان لهم تأثير ملحوظ في هذا المجال امثال السيوطي والجواليقي) حاولوا ان يحصروا النحو في اطار خاص حتى يمكّنوا الآخرين من معرفته الا انهم فرضوا على اللغة العربية قواعد وقوالب اسفرت عن الضعف في فهمهم من العربية، والذين كان لهم دور مفصلي في هذا المجال هم بعض النحاة الذين كانوا أعاجم والذين لم ينتفقوا بثقافة العرب، فلذلك فرضوا ما يدور في خلداهم من افكار ومعارف على المجالات اللغوية بسهولة ودون وازع وخوف من تداعيات هذا الأسلوب وتأثيره على البحوث اللغوية. انهم كانوا جادّين آنذاك في العمل على تقنين اللغة والنحو انطلاقاً من اصول واضحة محددة - الخليل وسيبويه خاصة - تمكن من اغلاق النسق اللغوي اغلاقاً محكماً ولا تسمح بأى جديد الا ذلك الذي يجد له اصلاً داخل النسق ثم انهم كانوا ناجحين في مهمتهم هذه بحيث ان هذا الأمر دعم الإحساس بقداية اللغة نفسها وقّال من الإحساس بما يمكن ان يحدث فيها من تطور وتغير وما استشعر اللغوي التغييرات الجذرية في الذوق .. بل ظل عاكفاً على مادته القديمة والسبب انهم كانوا جميعاً في عصر واحد عصر التدوين .. وفي هذا الفضاء المقولية علمياً، كان النحاة يبحثون عن الرقي والتكامل في مجالهم العلمي، في الطرق والمناهج العلمية السائدة آنذاك.

و في عصر التدوين كان العلماء في مختلف المجالات متأثرين ببعضهم الا ان الجدل الكلامي طغى بين المعتزلة والاشاعرة فتسّم علم الكلام بمكانة خاصة في الاوساط العلمية فمن الطبيعي ان يتأثر النحاة بالكلام والمنطق الأرسطي وقد جاء عن سيبويه انه تلقّن دروسه الأولى من اهل الثقافة الدينية اذ التحق بحلقات الفقهاء والمحدثين ولزم حلقة حماد بن سلمة بن دينار المحدث المشهور حنينذ.

هذا وإن علماء العلوم المختلفة الذين كانوا متنافسين معاً اخذوا اللغة العربية كمقدمة للدخول في المجالات العلمية والدينية كالكلام والفقهاء وبالتالي كانت اللغة العربية تمثل دور اداة او وسيط في هذه الحلبة، فاسانذة النحو او من يدرسه الى جانب العلوم الدينية قاموا بانقاذ النحو من الهامشية. «فكان رد فعل النحاة تجاه هذا المازق على شكلين مختلفين يكمل احدهما الآخر. من ناحية تم بذل الجهد لوضع النحو في نظرية وصفية منظمة مبنية على قواعد ومبادئ عامة مصرّح بها، بحيث يتم وضع كل نوع من انواع المادة في مكانه ورتبته الصحيحين ومن ناحية اخرى حاول النحاة ان يوضحوا بطريقة جذابة وذات معنى للقراء المعاصرين بعض المفاهيم العميقة التي اثرت على رؤيتهم عن كلام العرب وكان يطلق على هذه الطريقة اسم «العلل». والتحول الآخر الذي برز في مجال النحو على اساس نظرية العلل، كان ظهور «القياس النحوي» الذي قادها ابن جني وابوعلی الفارسي في مدرسة بغداد النحوية.

و عن كيفية تأثر النحو بمنهج العامل والمعمول والقياس المنطقي يجب ان نشير الى تأثر العلماء المسلمين بالكتب الاغريقية والعلماء المسيحيين الذي كانوا نشيطين غاية النشاط في عصر التدوين. في الاقسام الثلاثة التالية للورقة نتطرق الى كيفية تأثير هذه الافكار على أداء النحويين واللغويين والمفسرين مع ذكر بعض المصاديق والأمثلة لها.

### النحويون

و عند دراسة محاولات ونشاطات العلماء المسلمين بداية ينبغي لنا ان نتناول انتاجات النحاة اذ انهم كانوا رائدين للغويين والمفسرين تاريخياً وفي اختيار المناهج. كان النحاة يرون ان الاسم والفعل لاجرم ناشئان من اصل ثلاثي فما فوقه وان وجد اسم او فعل ثنائي فلا شك انه حذف حرف واحد منه على الأقل كما ان هذا المحذوف يظهر في صيغ التكسير او التصغير نحو أب □ آباء. فعلى سبيل المثال انهم كانوا يعتقدون ان اصل مفردات ك «أب وأخ وابن ويد ودم» كان: «أبو وأخو وبنو ويدو ودمو». كما انه كانت بينهم نزاعات لانهاية لها حول كلمة «اسم» اذ ان بعضهم يعتبرونه من مادة «وسم» والآخرون من مادة «سمو».



و فى عملية ترجمة هذه الكلمة، وبدلاً عن استخدام مناهج علمية لغوية جرى على لسانهم اقوال ايديولوجية ودينية ونشاهد فى كتبهم اللغوية جمل حول القيم الإسلامية والتي فهمها اصعب بكثير من فهم معنى كلمة «الرحمن» اذ يقول خليل بن احمد فى معجم العين عن «الرحمن والرحيم»: «اسمان مشتقان من الرحمة ورحمة الله وسعت كل شىء وهو ارحم الراحمين».

ويقول ابن منظور فى لسان العرب ذيل مادة ر ح م عن كلمة الرحمن: «بنيت الصفة الأولى على فعلاّن لأن معناه الكثرة وذلك لأن رحمته وسعت كل شىء وهو ارحم الراحمين».

و فى الحقيقة علينا القول ان هذه الكلمة لاترتبط بوزن «فعلاّن - فعلى» بصلة، اذ انها استخدمت فى كل اللغات السامية خاصة فى اللغات المستخدمة فى الأديان الحنيفية، كواحدة من اسماء الله عزوجلّ حيث توجد فى العبرية والآرامية ما يعادلها: 7277 (= رَحْمَن) و 7277 (= مَرَحِمَن) وبعد دراسة صوتية حول هذه الكلمة يظهر لنا سبب كتابتها فى العربية بالالف المقصورة.

هذه الكلمة لا توجد فى التورات ولكن استخدمت فى انجيل لوقا اصحاح 6 الآية 36.

هنا نتطرق الى ثلاثة مفردات وهى: «باءً وسفر ويَمّ». هذه المفردات بالنسبة الى مرادفاتنا اى: «جاء وكتاب وبحر» تبدو اكثر غرابية واقلّ توظيفاً، ولهذا لقد حاول النحاة ان يستوعبوا معناها الحقيقى، غير انهم استخدموا مرة اخرى منهج «معرفة اصل الكلمة» و«القياس المنطقى»، فاعتبر بعضهم كلمة «السفر»، «الكتاب الكبير» وبعض آخر «الكتاب الذى يُسفر عن الحقائق» وعن كلمة «يَمّ» يعتقد كثير من اللغويين ان معناها «البحر الذى لا يدرك قعره ولا شطأه» وقد جاء فى لسان العرب حول كلمة «باءً»: «احتمل الذنب وصار المذنب مأوى الذنب» وقد قال الراغب الاصفهانى فى «المفردات»: «اى حلّ مَبوًاً ومعه غضب الله واستعمال باء تنبيهاً على ان مكانه الموافق يلزمه فيه غضب الله فكيف غيره من الامكنة؟»

غير ان كلمة «يَمّ» دخلت فى القرآن الكريم لتعبّر عن نهر النيل فاللغويون كيف ظنوا ان «اليَمّ»، بحرّ لا يدرك قعره ولا شطأه؟ كما ان المزج بين فعل «باءً» و«الاثم» خطأ وكلمة مَبوًاً لاترتبط بهذا الفعل، من جهة ثانية لقد قاس اللغويون كلمة «السفر» مع فعل «اسفر» فظنوه «كتاباً يُسفر عن الحقائق» لكن الحقيقة تختلف، اذ ان المفردات الثلاث المذكورة ليست عربية اصلاً ونحن نرى ان الله سبحانه وتعالى استخدم المفردات السامية الأقدم وهى مفردات عبرية وآرامية اذ أن سياق النص الذى احتوى على هذه المفردات يرتبط بقصص الأقوام السامية قبل العرب فى شبه الجزيرة وهم بنو اسرائيل وموسى (ع) والله عزوجلّ من خلال هذا يرمز لمخاطبيه العرب واليهود الى ان القرآن من جانب معبود واله ابراهيم والذى جاء وعده عن بعثة نبي الاسلام فى التورات والانجيل، وبعبارة ادق لافرق بين جاء والبحر والكتاب من جهة وباء واليَمّ والسفر من جهة ثانية.

### المفسرون

و حصيلة هذه النشاطات والمحاولات العلمية عند النحويين واللغويين كانت مادة اولية للمفسرين لفهم القرآن الكريم وتفسيره، اذ كان النحو العربى ومعرفة اللغة من اعماق الأدوات اصالة، لهذا الأمر فالمفسرون الذين كان جمهورهم من غير العرب كانوا ينصرفون الى تعلم العربية فى بداية مسيرتهم العلمية ثم انهم وللقضاء على مشاكلهم فى فهم النص والمفردات الغريبة كانوا يعتمدون على المعاجم ويتوقف فهمهم عليها، فهذا التراث العلمى والإنتاجات العلمية التى دخلت فى الثقافة الاسلامية على اساس المنهج الارسطى، تخلل الى علم التفسير مباشرة او غير مباشرة. فالمفسرون قاموا بعملية فهم لغة القرآن من خلال علم النحو الذى كان متأثراً بالمنطق الأرسطى مخلفا بعض النفاثص فى عملية تفسير القرآن. والآن نسلط الضوء على بعض هذه المشاكل.

## معنى كلمة «المثنائي»

هنا لا نهدف الوصول الى معنى «المثنائي» في القرآن الكريم اذ انه عمل صعب للغاية واللغويون والباحثون القدماء وحتى المستشرقون والمهتمون للبحوث القرآنية ماقدّموا رأياً حاسماً في هذه الكلمة، غير أنّ نظرة عابرة على آراء المفسرين المسلمين حولها يبيّن لنا نسبة عجزهم في الوصول الى الفهم الصحيح من النص القرآني، ظهرت هذه الكلمة في القرآن مرتين احديها في سورة الحجر الآية 87 والثانية في سورة الزمر الآية 23.

يرى الزمخشري في الآيتين احتمالين حول كلمة المثنائي، احده هو ان الكلمة هذه مأخوذة من «التثنية» والآخر ان تكون مأخوذة من «الثناء» ناهيك انّ الراغب الاصفهاني يذهب الى ما ذهب اليه الزمخشري. الا اننا نرى الطبري بوصفه اول من أَلّف تفسيراً جامعاً للقرآن الكريم، وبعد نقل آراء مختلفة حول هذه الكلمة ذيل الآية 87 من سورة الحجر، يستند الى حديث صحيح عن النبي الأكرم (ص) فيقول ان الكلمة تلك، رمز للآيات السبع لسورة الفاتحة . و العلامة الطباطبائي عند تفسير الآية بذاتها يقدم نفس الرأي في ميزانه والغريب هو انّ الاخيرين عند بيان معنى هذه الكلمة في الآية 23 من سورة الزمر لا يستندان الى ذلك الحديث النبوي (ص) وينتهجان نمط القياس المنطقي و«معرفة اصل الكلمة» .

ان غالبية المفسرين ان لم نقل جميعهم وحتى الذين ينادون بالتفسير الروائي، عند مواجهة الآيات القرآنية يحاولون اولاً ان يشرحوا النص ثم ينصرفون الى الاخبار والاحاديث الا ان مفسراً كالعلامة الطباطبائي الذي نادى بتفسير القرآن بالقرآن يلجأ الى الأخبار والروايات في شرح هذه الكلمة. ولكن آراء المفسرين حول هذه الكلمة تكشف انه لا يمكنهم الوصول الى المعنى الحقيقي لها من خلال مناهج بحثية لاترتبط بساحة اللغة ومن خلال استخدام علم المنطق الذي لا يتناسق وروح اللغة. وبالتالي لاسبيل امامهم الا ان يتركوا التحليل المنطقي للغة والانصراف الى كلام النبي الاكرم (ص)، ولا شك ان الأخبار والروايات والاحاديث المأثورة عن النبي الأكرم صلاة الله وسلامه عليه وآله عليهم السلام وصحبه المنتجبين تعتبر احدي مصادر التفسير ولكن نحن بصدد نقد المنهج العلمي للمفسرين في فهم النص وهو القياس ومعرفة جذر اللغة، وعند الكلام عن مفردات قرآنية اخرى سنبين كم ابعدهم هذا المنهج الأرسطي من المعنى الواقعي للمفردات.

## معنى كلمة «أب»

نظرة الى تفسير هذه الكلمة القرآنية في الآية 31 من سورة عبس يظهر لنا ان الله سبحانه وتعالى قد استفاد في القرآن الكريم كلمات كانت غريبة للعرب حتى في ايام نزول القرآن. وهناك رواية مشهورة حول هذه الكلمة وهي ان الخليفان ابوبكر وعمر صرّحوا بانهما كانوا لا يدريان معنى هذه الكلمة حتى شرحها على بن ابي طالب (ع). ثم ان ما ينبغي الاهتمام به هو كيفية تفسير المفسرين لهذه الكلمة. ان الطبري بعد ما ينقل هذه الرواية التاريخية كاملة يقول عن الكلمة هذه: «ما تأكله البهائم من العشب والنبات» والزمخشري عندما يذكر هذه الرواية المشهورة يحذف اجابة على (ع) ويطلب من قارئيه ان يكتفوا بالمعنى الكلي للآية ويجتنبوا معرفة معنى «أباً»!

هذا وإنّ الراغب الاصفهاني في كتابه «شرح مفردات غريب القرآن» الذي عوّل عليه المفسرون المعاصرون، قد انحرف عن المسيرة الراشدة: «الأب: المرعى المتعهيّ للرعى والجر من قولهم أبّ لكذا اي تهيّأ أباً وإبابةً وأباباً وأبّ الى وطنه اذا نزع الى وطنه نزوعاً تهيّأً لقصدته وكذا أبّ لسيفه اذا تهيّأً لسله» .

فكما نلاحظ فإنّ الراغب قد شرح هذا الاسم بصورة وصفية كأنّ معناها «المتهيء» للموصوف المحذوف اي: المرعى الأب: المرعى المتهيء للرعى. والعلامة الطباطبائي في تفسيره يعتبر هذه الكلمة «العشب الجاف الذي تأكله البهائم» ثم يروى الرواية تلك بصورة كاملة.

لكن علينا ان نعلم ان الـ «أب» كلمة قديمة سامية مشتركة بين العربية والعبرية والآرامية وقد جاءت هذه الكلمة في التورات في سفر اشعار سليمان الاصحاح 6 الآية 11: «أَلْ غַنַת אֲגוּז יִרְדְּתִי לְרֵאוֹת בְּאֵבִי הַנַּחֵל לְרֵאוֹת הַפְּרֹחַה הַגֶּפֶן הַנְּצוּזוֹ» (11:11) «ذهبْتُ بين اشجار الجوز حتى أشاهد الاودية الخضراء والاوراق الطرية لأشجار العنب وازهار الرمان». كما نلاحظ ان الكلمة دخلت في العبرية بمعنى «الخضراء» وقد جاء في معجم المفردات التوراتية ذيل كلمة אבן:

### fresh grass, verdure, greenness, sprout, young shoot

و نرى في معجم الآرامية - العربية حول هذه الكلمة: «الفاكهة الرطبة التي لا قشور لها»

### عالم

هنا نصل الى كلمة اخرى قد جاء المفسرون حولها بأقوال غريبة ونقصد من هذه الكلمة كلمة «العالم» الذي ظهر في الآية الثانية من سورة الفاتحة. ولا يخفى ان الطبرى لم يتناول الكلمة في تفسيره واما الزمخشري قال حوله: «اسمٌ لذوى العلم من الملائكة والتقلين وقيل كل ما عَلِمَ به الخالق من الأجسام والأعراض» وقد صرح الراغب الإصفهاني ان «العالم اسم لفلک وما يحويه من الجواهر والأعراض وهو في الأصل اسمٌ لما يُعَلَّم، كالطابع والخاتم لما يُطَبَع به ويُخْتَم به وجُعِل بناؤه على هذه الصيغة لكونه كالألة والعالم آلة في الدلالة على صانعه». و ابرز العلامة الطباطبائي ان «كلمة العالمين جمع عالم ومعناه ما يمكن ان يوجد العلم بواسطته» .

وسوال راقمي هذه الورقة هو انه لِمَ حاول المفسرون دوماً ان يعدوا كلمة «العالم» من اصل «العلم»؟ والغريب ان المفسرين ما لاحظوا أن «العالم» كلمة جامدة، ووفقاً للنحو التقليدي الذي يعتقدون به ويمارسون النشاطات العلمية بناءً عليه، لا اصل للكلمة الجامدة. ثم ان الراغب الإصفهاني حاول ان يقيس «العالم» مع «الخاتم» على اساس منهج القياس المنطقي. لكن حرى بنا ان نعلم ان «العالم» صورة عربية ومتكاملة لكلمة من اللغة السامية الأم. هذه الكلمة توجد في العبرية بصورة (עולם) ومعناه «مكان وزمان بلانهاية ابدية ازلية»، وقد دخلت الكلمة هذه في اللغة الآرامية بصورة حلم (علم) (=علم) ويعتبر آرثور جفرى عبارة «رب العالمين» القرآنية مرادفاً دقيقاً ل- רבין העולמים (= رابين هعولامين) في الدين اليهودي .

### معنى كلمة «عدن»

نفس المنهج اللغوي اى «معرفة اصل الكلمة الثلاثة» أستخدم لكلمة «عدن». وفي هذا الإطار ينقل الطبرى روايات واحاديث مختلفة عن الكلمة هذه، ذكر فيها ان الـ «عدن» عَلَّمٌ لنهر او قصر او مدينة في الجنة ولكن يقول في الأخير: «عَدَنٌ فلانٌ بأرض كذا، اذا اقام بها وخذل بها ومنه المعدن»، وفي الختام يقدم هذا الرأى الغامض عنه: «انه يعنى هذه المساكن الطيبة التي وصفها جَلُّ ثناؤه».

وقد ذكر الراغب الإصفهاني في مفرداته: «عَدَن: أى استقرار وثبات وعدن بالمكان كذا استقرار، ومنه المعدن لمستقر الجواهر» .

وقد جاء في تفسير الميزان ان «كلمة «عدن» مصدر ومعناه الإستقرار والثبات ويقال مثلاً فلان عَدَنَ بالمكان ولذلك معناه جنات عدن الى جنات باقية خالدة غير فانية .

الا ان الزمخشري ومستنداً الى رواية ابي الدرداء عن النبي الاكرم(ص)، ينقل معنى عن الكلمة يعبر عن حقيقتها، في هذه الرواية ذكر الـ «عدن» كاسم عَلَّمٌ لمكان في الجنة، ولو كان المفسرون عارفين باللغة العبرية والآرامية ويقرأون التورات بهتين اللغتين لوجدوا ذلك المعنى الذي جاء في الرواية النبوية، فان «عدن» اسم مكان في الجنة جاء في التورات العبرية اللغة بصورة: עֵדֵן (= عدن) والتورات الآرامية اللغة بصورة עֵדֵן (= عدن)

**معنى كلمة «امر»**

و قد جاء كلمة «امر» في القرآن الكريم على ثلاثة معان مختلفة، انه في بعض الآيات (كالآية 210 من سورة البقرة) بمعنى الطلب وفي بعض آخر يعنى الحال والشأن (كالآية 31 من سورة يونس)، والمعنى الثالث لهذه الكلمة في القرآن الكريم هو «الوحي» ونجده في هذه الآيات على سبيل المثال: «ينزل الأمر بينهن لتعلموا» (طلاق، 12) و«يدبر الأمر من السماء الى الأرض» (سجدة، 5) و«ثم جعلناك على شريعة من الأمر» (جاثية، 18)؛ «امر» كلمة سامية عتيقة معناه الأول «الكلام والمحادثة» وبقيت هذه الكلمة على ذلك المعنى في اللغة العبرية والآرامية ثم تحول معناه في العربية الى الطلب والحكومة والشأن والخب، ولكن قد نرى في القرآن الكريم انه استخدم كلمة «الأمر» في ذلك المعنى الأول واراد الله سبحانه وتعالى منه، الكلام الإلهي او «الوحي».

وقد اكتفى الطبري والزمخشري في تفسيريهما بمعنى الطلب وقال الراغب الاصفهاني في ترجمته: «الأمر: الشأن وجمعه أمور».

و قد جاء في تفسير الميزان عن الآية 12 من سورة الطلاق: «و المقصود من الأمر هنا هو الأمر الإلهي الذي تفسره الآية الكريمة انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون ويقول ان الأمر الإلهي هو كلمة الابداء» .  
و في تفسير الكلمة هذه في الآية 5 من سورة السجدة يقول العلامة الطباطبائي: «المقصود من هذه الكلمة في هذه الآية الشأن لا الأمر المقابل للنهي» .

**معنى كلمة «بور»**

قد جاءت كلمة «بور» في ختام الآيتين بصورة واحدة: «و كنتم قوماً بوراً» (فتح، 12 وفرقان، 18)  
يقول الطبري في تفسير هذه الكلمة: «و كانوا قوماً هلكى، قد غلب عليهم الشقاء والخذلان» . ويقول الزمخشري: «و البور من بار، كالهلك من هلك... ويجوز ان يكون جمع بائر، والمعنى: وكنتم قوماً فاسدين في انفسكم وقلوبكم وبناتكم لا خير فيكم، او هالكين عندالله مستوجبين لسخطه وعقابه» . ويقول الراغب: «البوار فرط الكساء ويقال بار الشيء يبور بوراً وقومٌ حورٌ بورٌ وقوماً بوراً اي هلكى جمع بائر» .  
و جاء في الميزان ان بور جمع بائر بمعنى هالك .

فخطأ المفسرين في فهم معنى كلمة «بور» ناتج عن استخدامهم منهج القياس المنطقي الأرسطي واستنادهم الى اقوال اللغويين اذ انهم قاسوا «بور» مع كلمة «بوار» في الآية 28 من سورة ابراهيم فانتهاوا الى ان «بور» ايضا بمعنى الهالك، ولكن بهذا المعنى الذي حصلوا عليها يظهر تناقض في ترجمتهم للآية الكريمة ثم انهم تجاهلوا هذا التناقض او حاولوا تبريره في افكارهم. فإذا غضب الله على قوم وبناديههم، فكيف يمكن ان يكونوا هالكين من قبل؟! وفي الحقيقة كما يقول آرثور جفرى فكلمة «بور» توجد في العبرية بصورة: בור (= بور) وفي الآرامية بصورة: כור (= بوراً) ومعناه في هاتين اللغتين هو «الجاهل» .

**معنى كلمة «طاغوت»**

قد جاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم غير مرة وقد قال الطبري في تفسيره عن الآية 256 من سورة البقرة: «اختلف اهل التأويل في معنى الطاغوت فقال بعضهم هو الشيطان وقال آخرون هو الساحر وقال الآخرون بل هو الكاهن والصواب من القول عندي في الطاغوت انه كل ذي طغيان على الله» . انه ابدى عن رأيه حول هذه الكلمة في هذه الآية بصورة كاملة وما اضاف شيئاً في تفسيرها في الآيات الأخرى.

و الزمخشري اعتبر الكلمة إما بمعنى الشيطان واما بمعنى الصنم او الشرّ واخيراً في تفسير الآية 17 من سورة الزمر يقول: «فعلوت من الطغيان كالمكوت والرحموت الآ ان فيها قلباً بتقديم اللام على العين اطلقت على الشيطان او الشياطين» .

وقد قال الراغب الإصفهاني حول هذه الكلمة: «عبارة عن كل متعدّد ولما تقدم سمّي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً ووزنه فيما قيل فعلوت نحو جبروت وملكوت» .

و يقول العلامة الطباطبائي في الميزان في تفسير الآية 256 من سورة البقرة: «كلمة الطاغوت تعني الطغيان والتجاوز من الحدود ولكنها تبلغ المبالغة في الطغيان الى حد ما، كالملكوت والجبروت . وملحظ كلام المفسرين حول هذه الكلمة هو انها من اصل «طغى» وعلى وزن «فَعَلُوت» ويعبر عن نوع من المبالغة في الطغيان الا انّ الآيتين 60 و76 من سورة النساء يبين لنا ان الله سبحانه وتعالى يريد من هذه الكلمة معنى خاص دون معنى عام فلا تشمل الكلمة هذه، انواع الشرور: «يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم بعيدا» و«الذين امنو يقاتلون في سبيل الله والذين كفرو يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اولياء الشيطان».

ناهيك ان آرثور جفرى قدم بحثاً مفصلاً حول هذه الكلمة وبناءً على اسباب عدة يقول انها بمعنى عبادة الأصنام .

### حصاد البحث

اننا لا نريد في هذه المقالة ان نرفض الأعمال والمحاولات والنشاطات القرآنية التي مارسها النحويون واللغويون والمفسرون المسلمون القدماء منهم والمعاصرون، رفضاً باتاً كما اننا لانرفض منهج معرفة اصل الكلمات والمفردات كل الرفض، بل اننا نقول ان في كل الكلمات القرآنية لا يمكن اللجوء الى هذا المنهج والإستناد الى القياس المنطقي الأرسطي، خاصة حول الكلمات الغامضة بعض الشيء. فما نستهدفه في هذه الورقة هو ان النحاة واللغويين والمفسرين، الى جانب معرفة اللغة والمفردات وعلم الكلام والمنطق والفلسفة والخ كانوا بحاجة ماسة الى علم مهم مفصلي آخر غفل عنه او تجاهله غالبيتهم وهو المعرفة بالأسرة اللغوية للغة العربية والإهتمام لتكامل المفردات التاريخي للغة الضاد بين هذه الساميات وهذا التجاهل او التغافل ادى الى ظهور آراء نحوية غير صحيحة حول الظواهر اللغوية وهذا بدوره اسفر عن فهم خطأ بعض الأحيان من جانب المفسرين حول بعض المفردات القرآنية.

### المصادر

- قرآن كريم
- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، بي تا.
- ابن يعيش، موفق الدين، شرح المفصل عالم الكتب بيروت ومكتبة المتنبي القاهرة، دون تاريخ.
- الاسترآبادي، رضى الدين، شرح شافية ابن حاجب، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1358ق.
- بوهاس، جيوم وكولوغلي، التراث اللغوي العربي، دار السلام للطباعة، القاهرة، 2008.
- الجابري، محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة التاسعة، 2006.
- خليل ابن احمد الفراهيدي، ابي عبد الرحمن ، معجم العين، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988.
- الراغب الاصفهاني، ابي القاسم الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
- الزمخشري، ابو القاسم محمود بن عمر، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، بتحقيق عادل احمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، 1988.
- السويح، محمد عاشور، القياس النحوي بين مدرستي البصرة والكوفة، الدار الجماهيرية، الليبي، مصراتة، 1986.
- ضيف، شوقي، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة، 1972.
- طباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، تهران، محمدي، 1362.

- طبرى، ابو جعفر محمد بن جرير، جامع البيان عن تاويل آى القرآن، بتحقيق الدكتور بشار عواد معروف وعصام فارس الحرساني، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1994.
- ولفنسون، اسرائيل، تاريخ اللغات السامية، القاهرة، مطبعة الاعتماد، 1914.
- Bar Bahlul, Hassan. Lexicon Syriacom. Paris. 1886.
- Feyerabend, Karl, Langenscheidt Pocket Dictionary Hebrew – English: to the old testament.
- Jeffery, Arthur, The Foreign Vocabulary of The Qoran, BRILL, Leiden. Boston, 2007.
- Ostler, Nicholas, Empires of the Word: A Language History of The World. London: Harper Collins. 2005.